

## استجابة إسرائيل على تحدي كوفيد-19: نقاط القوة والضعف والفرص

العقيد (متقاعد) د. عيران ليرمان

نائب رئيس معهد القدس للاستراتيجية والأمن

بشكل عام، تمكن المجتمع الإسرائيلي من البقاء صامداً في مواجهة جائحة فايروس كورونا (كوفيد-19)، وهناك أسباب لتقييم الجوانب الرئيسية للغاية لاستجابة الحكومة. وعلى المستوى الاستراتيجي، تمكنت البلاد مرة أخرى من عرض صورة دولة قادرة على مواجهة الشدائد. ومع ذلك، فقد كانت هناك بعض الأعطال الرئيسية وبعض الفشل الصارخ في الحكم، وسط الأزمة السياسية التي لم يتم حلها. ومن السابق لأوانه معرفة ما إذا كانت الإجراءات المتخذة ستمكّن إسرائيل من تجنب النموذج المأساوي لكل من إيطاليا أو إسبانيا أو حتى نيويورك.

وحتى الآن، فلا يزال معدل الفتك منخفضاً، نسبياً. وقد كانت نسبة الحالات المصابة حوالي 1 لكل 1000 (أي نصف المعدل في إيطاليا)؛ ولكن في إسرائيل (وكما هو الحال في ألمانيا)، فقد كان عدد الوفيات جزءاً من المعدل في العديد من الدول الأوروبية. وإذا ما نجحت قدرة نظام المستشفيات في مواجهة الطوفان القادم من الحالات الشديدة – وإذا لم يتجسّد الكابوس المتمثل في نقص أجهزة التنفس - فقد تخرج إسرائيل من الأزمة بسمعة قوية في الاستجابة الفعالة. وتوفّر احتياطات البنك المركزي الكبيرة بالدولار، والتي تبلغ حوالي 150 مليار دولار (والتي انتقدها محافظ البنك السابق بسبب تكديسها ...) نافذة أمل بأن الاضطراب الاقتصادي يمكن أن يتم تجاوزه بنجاح عندما يأتي اليوم وتعود الحياة إلى طبيعتها. وفي الوقت نفسه، فقد يكون خطر اندلاع حريق إقليمي قد انحسر مؤقتاً ولكنه لم يختفي بأي حال من الأحوال؛ وبأن الثوران العنيف بشأن المشروع النووي الإيراني ربما لا يزال قاب قوسين أو أدنى.

وقد دخلت إسرائيل في أزمة فايروس كورونا مع أربعة أمور رئيسية بالنسبة لها:

1. بادئ ذي بدء، يتمتع النظام الصحي الإسرائيلي بسمعة مستحقة لجودة العلاج الطبي (لا سيما الأطباء العرب والممرضات والصيدالّة الذين يلعبون دوراً رئيسياً في الخط الأمامي للمعركة). وقد تكون البنية التحتية ضعيفة، وقد تكون المستشفيات مكتظة والاستثمار في الخدمات منخفضاً، ولكن درجة المهنية ومعرفة الطاقم الطبي يحدثان الفرق [حيث أنه وفي الحقيقة – فإن زوجتي ممرضة]. هناك سبب يجعل مسألة المعمّرين (طول العمر) في إسرائيل باستمرار من بين أعلى خمسة دول في العالم. وهذا قد يقطع شوطاً طويلاً نحو شرح معدل الفتك المنخفض في البلاد.

2. لقد أدت ثقافة الابتكار والتحسين التي تُعتبر بأنها من أحد السمات المميزة لإسرائيل - أولئك الذين قد يتذكرون المسلسل التلفزيوني القديم سيفهمون ما الذي تعنيه كلمة "أمة ماك غايفر" - التي تقود إلى حلول مبتكرة للمشاكل الفنية، بدءاً من الأقنعة المؤقتة إلى تحويل الآلات لتكون بمثابة أجهزة تنفس اصطناعي.

3. كما تم تسخير القدرات القوية لقوات الأمن الإسرائيلية الكبيرة والموهوبة بشكل جيد. وهكذا تحولت المخابرات العسكرية إلى اختراع الأجهزة التقنية ذات الصلة؛ فقد طُلب من جهاز الأمن الداخلي المساعدة في رصد تحركات الأشخاص المصابين بأثر رجعي (بحيث يمكن تحذير الآخرين)؛ وتم تكليف الموساد بالحصول على الإمدادات الحيوية - على الأقل من خلال التعاون مع دول الخليج العربي التي لم يتم الكشف عنها.

4. وقد ساعد وجود رئيس الوزراء، وهو شخص مهني متشائم ومتحمّس؛ وعلاوة على ذلك، فإن الشعور المتصاعد بالأزمة يخدم وبشكل جيد مخططات نتنياهو السياسية للوحدة تحت قيادته. وعلى عكس التفاؤل المضلل الذي أظهره بعض القادة الرئيسيين في المراحل المبكرة من الوباء (بما في ذلك على الأقل أحد أفضل أصدقاء نتنياهو)، وكذلك كبار المسؤولين في وزارة الصحة الذي ظهروا على التلفزيون بجانبه كل ليلة. وبالتالي، فقد تم تطبيق قيود صارمة على السفر الدولي في وقت مُبكر، والانكماش الحاد في النشاط الاقتصادي والضغط من أجل التباعد الاجتماعي، وبعد ذلك، تم عزل المدن والمناطق المعرضة لخطر كبير.

وفي الوقت نفسه، فقد كان هناك بعض نقاط الضعف:

1. لقد أدت تخفيضات الميزانية في السنوات الأخيرة، وفشل القيادة السياسية في الالتزام بالأولويات المناسبة، إلى مفاجئة النظام الصحي من قبل الوباء وأخذ على حين غرة في بعض النقاط الرئيسية: قبل كل شيء، البنية التحتية للاختبار (التي لا تزال في وضع صعب) وعدد أجهزة التنفس الاصطناعي. لقد قللت الجهود النبيلة التي بذلها القطاع الطبي من الانتقادات، ولكن تقرير إדانة صدر عن المراقب العام - الذي تم إعداده قبل بدء الأزمة بوقت طويل - والذي يتطرق إلى فشل الاستعداد (عندما حذرت بعض الوثائق الرئيسية، على الصعيدين المحلي والدولي، من إمكانية تفشي الجائحة) قد تُترجم إلى لجنة تحقيق بعد الأزمة، وهو نمط متكرر ومهم في الحياة السياسية الإسرائيلية منذ حرب عام 1973.

2. إن بعض الشرائح الاجتماعية، وخاصة العناصر الراديكالية الخاصة بالمجتمعات الأرثوذكسية المتطرفة (المعروفة بالعبرية باسم الحريديم) لم يتقبلوا تلك القيود بسهولة. وقد صُدم العديد من الإسرائيليين عندما علموا بأن ياكوف ليتسمان، نائب وزير الصحة (الذي يُمثل في الحكومة حزباً أرثوذكسياً متشديداً الذي يرفض تولي مناصب وزارية كاملة - وبالتالي فإن رئيس الوزراء هو وزير الصحة) قد أصيب بالفايروس، جنباً إلى جنب مع زوجته، وذلك بعد حضور - في خرق للحظر المفروض من قبل السلطات الحكومية - صلاة الصباح في منزل معلمه الحاخامي. وقد أدى المعدل المقلق الذي انتشرت فيه العدوى في المناطق المزدهمة بالأرثوذكس مثل بلدة بني براك بالقرب من تل أبيب إلى اتخاذ تدابير صارمة - وأدت إلى فتح جروح اجتماعية وسياسية قديمة: المسنون في مجتمعات الحريديم يتلقون المساعدة الآن من قبل الجنود، الذين يخدمون في الجيش الذي تنقضه مجتمعات الحريديم الراديكالية وترفض الخدمة فيه. إن ما يعنيه كل هذا بعد أن تهب العاصفة هو سابق لأوانه.

3. إن التدابير الصارمة التي تم اتخاذها من أجل الحد من جميع التفاعلات الاجتماعية - وبالتالي جميع الأنشطة الاقتصادية تقريباً - قد حولت وبشكل مفاجئ الدولة التي كانت تعمل بكامل طاقتها (بأرقام فردية منخفضة) إلى منطقة تعيش كارثة اقتصادية، مع مليون عاطل عن العمل وعشرات الآلاف من الشركات الصغيرة المهارة أو الأخذة بالانهيار. وإن نتيناها، المحافظ المالي، هو غير مناسب تماماً لإدارة الإنفاق الضخم للميزانية بشكل صحيح. وعلاوة على ذلك، فمن الحيوي جداً - كما هو موضح أعلاه - الحفاظ على الاستثمار في القدرات العسكرية المتقدمة؛ حيث أنه ليس من السهل تحقيق التوازن.

4. وأخيراً، فلا يزال هناك شك دائم في أن نتيناها، بينما كان يقف بحزم وثبات على دفة القيادة (حيث أنه هو من قال "الإبحار بسفينة تيتانيك بعيداً عن جبل الجليد") يستغل الأزمة الرهيبة من أجل إجبار أعدائه السياسيين على الانسحاب وليجدوا مكاناً في حكومته: زعيم ائتلاف أزرق وأبيض بني غانتس، ومن ثم زعيم حزب العمل عمير بيرتس. وقد يكون هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله في ظل هذه الظروف، ولكن هناك الكثيرين في إسرائيل يشعرون بالخيانة بأنه قد تم التخلي عن الوعد بعدم الخدمة تحت الرجل الذي يواجه محاكمة بتهم عديدة بالفساد.

ومع ذلك، فهناك ما هو أكثر بالنسبة للبلاد من مجموع المتطلبات السياسية المتناقضة وحتى السياسات. وقد تُثبت علامات التضامن الاجتماعي شبه العامة، التي تشمل إلى حد ما العرب في المهن الطبية، والقدرة الاقتصادية على التعافي، بناءً على احتياطات العملات الأجنبية المثيرة للإعجاب التي تم جمعها في العقد السابق (حيث قام بنك إسرائيل بامتصاص الدولار للحفاظ على سعر الصرف على مستوى متوافق مع اعتمادنا على أسواق التصدير)، مرة أخرى بأن إسرائيل دولة مرنة.

وفي الوقت نفسه، وحتى عندما يبدو بأن الوباء يستحوذ على الاهتمام الكامل من قبل صانعي القرار، فلا داعي لأن يغرقوا في الرضا عن النفس. وقد كان هناك انخفاض واضح في النشاط العدائي من قبل حركة حماس - ولكن هناك أيضاً تهديد، وكانت تُدلي بكلمات تجعل دماء الإسرائيليين تغلي، من أجل "التأكد من أن ستة ملايين إسرائيلي لن يتمكنوا من التنفس" ما لم تحصل حركة حماس على تدفق كامل من الإمدادات الطبية. وكل هذا، على خلفية التهديد المستمر بالدخول في مواجهة مع إيران. وقد اكتسبت الأنشطة النووية (والتخريبية) لإيران زخماً على الرغم من بصمة الوباء العميقة على المجتمع الإيراني وشرعية النظام. وفي الوقت الذي تستمر فيه إيران في مسارها نحو الوصول لمستويات أعلى من تخصيب اليورانيوم، فلا تزال هناك احتمالية نشوب حريق كبير. وإن الاستعداد لذلك سيستمر في طلب سلوك منظم ومتوازن من قبل الحكومة الإسرائيلية القادمة.